ISSN : 2523 – 1871

جماليات الفن الواقعي: المدرسة الواقعية

أ. نجلاء فتحي علي غرور•

المستخلص

تعتبر دراسة الذوق الجمالي من أصعب الدراسات؛ وذلك لاختلاف الأذواق، فكانت دراستي في هذا البحث محاولة بسيطة لتسليط الضوء على إمكانية الانسجام والتوافق بين الفنون الجميلة والواقع، وذلك من خلال دراسة المدرسة الواقعية كنموذج للفن الواقعي الحقيقي، وعرض أهم خصائصها، وتطوراتها التاريخية، وأنواعها، وأهم فناني هذه المدرسة، وكيف استطاعوا تصوير الواقع بصورة فنية جميلة ورائعة؟ ومن أبرز ما تميزت به المدرسة الواقعية هو تعدد أنواعها، لتشمل أكبر نسبة من أذواق الناس، فكانت هناك الواقعية النقدية التي تقوم أساساً على نقد أي نواحٍ سلبية في حياة الإنسان، بينما الواقعية الطبيعية تدرس طبيعة الإنسان، محاولةً وصفها فنياً بصورة جميلة، وأخيراً الواقعية الاشتراكية التي تقوم على دراسة تاريخ الإنسان، ومن خلال هذه الأنواع يعتبر الفن الواقعي من أبرز الفنون التي تحاول إيجاد حل وسط بين الفن والواقع بصورة متناسقة.

الكلمات المفتاحية: الجمال – الواقعية – الفن الواقعي – أعلام الفلسفة –فنانو المدرسة الواقعية

مشكلة الدراسة:

تعد فلسفة الجمال وفلسفة الفنون الجميلة من أصعب المجالات، وأكثرها غموضاً من حيث اعتمادها على الذوق والأحاسيس، وإصدار الحكم على الأشياء ذوقياً جميلة أو قبيحة.

ولهذا تعددت التفسيرات والنظريات والمذاهب والمدارس الفنية، ومنها المدرسة الواقعية، محاولةً أن تصل إلى وضع مفهوم واضح يفسر على أي أساس أُطْلِقَ حكم ذوقي على أي عمل فني بأنه جميل أو قبيح من ناحية ، ومدى ارتباطه بالواقع من ناحية أخرى.

• عضو هيأة التدريس بقسم الفلسفة كلية الآداب – جامعة بنغازي.

تساؤلات الدراسة :

- هل تصوير الواقع يعتبر فناً جميلاً ، ويمكن اعتباره فناً حقيقياً؟
- هل الابتعاد عن الخيال يعد فناً حديثاً ومتطوراً؟
- ضرورة التعبير عن معاناة الإنسان وصراعاته بصورة فنية (واقعية) ؟

منهجية الدراسة :

في أثناء قيامي بهذه الدراسة اعتمدت (المنهج التحليلي المقارن) .

المقدمة

يعتبر الواقع والحقيقة من أهم الموضوعات التي يجب على الفنون اتخاذها كمحاور أساسية في مواضيعها الفنية ، بدلاً من الاتجاه إلى الخيال ، فالمدرسة الواقعية تعتبر من أهم هذه الاتجاهات الفنية الحديثة والمعاصرة، التي غيرت مسار الفنمن الخيال إلى الحقيقة و(الواقع).

واهتم رواد الواقعية بحياة الإنسان ومعاناته ، ومحاولة وضع حل لمشاكله وتطوراتها عبر العصور، وذلك من خلال أنواع الفنون المختلفة التي تعبر بشكل واقعي طبيعي سواء أكان الفن المسرحي، أم الأدبي، أم السينمائي ، أم التصوير، أم النحت ،أم الموسيقى ...إلخ .

مفهوم الجمال

أولاً : الجمال في اللغة:

الجميل لغةً هو الحسن سواءً أكان في الخُلُقِ أم الخَلْقِ ، والشيء الجميل هو التام الجسم من كل حيوان، وقد ورد في مختار القاموس تجمُل المرء أي تزيُنه .(الزاوي ،1994).

والجمال مصدر كل جميل ، قال سبحانه وتعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) (سورة النحل، آية 6) .

أي: لكم بهاء وحســـن ، والجمال بالضـــم والتشـــديد هو ما جاء في لســـان العرب الأجمل من الجميل.(ابن منظور ،1975)

ثانياً: مفهوم الجمال اصطلاحاً :

أما الجمال من حيث الاصـــطلاح فله عدة مفاهيم مختلفة ، من فترة لأخرى ومن عصـــر لآخر، حسب رؤية كل فنان ، وعلى حسب حاجة كل عصر.

فيعتبر الجمال أحد أهم المفاهيم الفلسـفية الكبرى الثلاث : الحق، الخير، والجمال (خليل، 1975) .

والجمال في الفلسفة اليونانية وتحديدًا عند أفلاطون(platon)،(427– 347 ق م): جمال الشـيء ما هو إلا جمال نسبي؛ لأنه يعتبر محاكاة لمحاكاة .(إسماعيل ،1955).

أي أن أفلاطون يعتبر الشـــيء جميلاً بمقدار مابه من محاكاةٍ للجمال المطلق الموجود في عالم المثل، فالجمال الجزئي الحسي يعتبر وهمًا وخيالاً.

أما الجمال في العصـــر الإســـلامي : فكانت توجد العديد من الإســـهامات والأفكار الجمالية التي ترتبط بشكل أو بآخر بالإسلام، والفنون العربية / كالشعر والخطابة والنثر والخط والبلاغة .

فمثلاً ابن سينا (371هـــ –1037 م) يعرف الجمال في كتابه (الشفاء) من خلال فن الشـعر : (الشـعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متسـاوية – وعند العرب مقفّاة ، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي، ومعنى كونها متســاوية أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مســاوٍ لعدد زمان الآخر ومعنى كونها مقفّاه أن تكون الحروف التي يختتم بها كل قول منها واحده)(ابن سينا، 1966) .

أما الجمال في العصـــر الحديث والمعاصـــر : فنجد العديد من الفلاســـفة لهم أفكار وآراء ومفاهيم مختلفة ، من بينهم فكرة هيجل(Hegel)(1759–1805) فالجمال عنده (تألق المطلق وإشـــعاعه من خلال أقنعة العالم المحسوس) (ستيس، 1980).

ISSN : 2523 – 1871

أي أن الجمال عند هيجل يتمثل في تموضع الروح المطلق في الأشياء المحسوسة ، فالأشياء الحسية في حد ذاتها ليست جميلة ، إلا حين يدركها العقل ، فلولا العقل أو الفكر ما كان هناك جمال، فالجمال هو الفكرة المطلقة .

مفهوم (الفن)

أولاً : الفن لغةً :

الفن مفرد فنون ، وفي ذلك قيل: إن الفن واحد ، وكذلك جاء (الفن) بمعنى التنوع ، فالفنون هي الأنواع (الجوهري ،1918) .

وجاء الفن بمعنى الإبداع، فيقال: (الرجل المفن) هو الرجل الذي يأتي بالعجائب (الجوهري، 1918)، كما جاء الفن بمعنى مصدر : وفنن الشيء زينه (البستاني ، د.ت) .

ثانياً: الفن اصطلاحاً :

تختلف الآراء حول تعريف الفن اصطلاحاً، فمنها: معنى عام ،ومنها معنى خاص ، فالعام أي استخدام جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة ، فإذا ما كانت هذه الغاية هي تحقيق الجمال سمي الفن بالفن الجميل ، وأما إذا كان تحقيق منفعة فسمي الفن بالصناعة (صليبا،1971) .

أما الفن بالمعنى العام فهو (تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الألفاظ) (وهبة،1979) .

أما المعنى الخاص فالفن يطلق على جملة الوسائل التي يستخدمها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال ، كالنحت والتصوير والنقش والشعر والموسيقى (صليبا، 1971)

أما معنى الفن عند اليونان فهو كل نشاط نافع بشكل عام ، وقد اشتمل اللفظ على الكثير من الصناعات ، ولم يقتصر على الفنون الجميلة (إبراهيم، د.ت) ، وفسر الفلاسفة اليونان الفن بتفسيرات

مختلفة ، فمثلاً أرسطو يرى الفن بأنه لا يقتصر على محاكاة الأشياء الجميلة فحسب ، بل وظيفته مزدوجة هي تقليد الطبيعة ثم التسامي عنها(أبوريان ، د.ت) .

أما الفلاسفة المسلمون فأغلبهم يعرفون الفن (بالصناعة)مثل أبي حيان التوحيدي، يقول: (إن الفن هو الصناعة) فيرى أن الطبيعة بحاجة إلى الصناعة؛ لأن الصناعة تستجلي في النفس والعقل ، وتملي على الطبيعة (التوحيدي ، 1929) .

ومن هنا يعني أن الصناعة مثل الفكرة التي تتكون في العقل ثم تخرج وتتجسد في الطبيعة .

تستمر تعريفات الفن أيضاً عند الفلاسفة المعاصرين فمنهم (الآن) (Alain،1868–1951) الذي عرف الفن بأنه صناعة يقول: (إن القانون الأسمى في مضمار الابتكار هو أننا لا نخترع شيئاً إلا بالعمل) ، فيربط بين الإبداع و العمل أي الصناعة ، وكذلك فعل (لاكروا)(Lacroix) 1798–1863م حين اعتبر(الفن نشاطاً صناعياً) (إبراهيم ، د.ت).

إذاَ مما سبق نلاحظ أنه على الرغم اختلاف آراء الفلاسفة والمذاهب والعصور حول مفهوم الفن فإنَّهم يتفقون على أن الفن هو استخدام الإنسان لوسائل مختلفة، تهدف إلى خلق الجمال والابتكار والإبداع الفني .

جماليات (الفن الواقعي)

إن الفنون والإبداع الفني ما هو إلا انعكاس للواقع ولحياة الإنسان ، وخلق الأشياء الجميلة الفنية بشكل مبتكر متجدد (رشيد ، 1985).

فالأعمال الفنية ماهي إلا تماثل للواقع ونقله من صورته الواقعية إلى صورة فنية تتمثل في مختلف الأعمال والفنون: سواء(المسرح، و الأدب ،و الرسم، والشعر، والنحت... الخ)

المدرسة (الواقعية)REALISME

أولاً: تعريف الواقعية : يعتبر المذهب الواقعي هو رد فعل على المذهب الرومانسي ،

وتحاول التركيز على الموضوعات التي تعالج قضايا الواقع الاجتماعي، وبالأخص قضايا الطبقة الكادحة والفقراء (راوية عباس ، 2005) .

وإلى جانب ذلك فيعتبر المذهب الواقعي دعاية للمذهب الاشتراكي؛ لأنه كان يركز أكثر على إبراز جوانب الشقاء والتعاسة في حياة الأفراد ، دون اهتمام كبير بالإضاءة والألوان، بل إظهار العنصر الفني في حد ذاته(راوية عباس ، 2005) .

إذاً يمكن أن تعرف المدرسة بأنها إحدى المدارس الأدبية والمذاهب الأوروبية التي انتقلت إلى الأدب العربي (عثمان ، د.ت)، وتستمد هذه المدرسة أهم عناصرها من الطبيعة ؛ للوصول إلى أعلى درجات الصدق في التصوير (قدار ، 2011).

ثانياً: أهم اتجاهات المدرسة الواقعية:

- الواقعية النقدية: هي التي تعتمد على نقد الواقع و وصف الجوانب السلبية في المجتمع.
- الواقعية الطبيعية: تقوم على تحويل طبيعة الإنسان إلى فن يطابق الواقع).
- الواقعية الاشتراكية: منهج يقوم على وصف التاريخ الاشتراكي وتطوره الثوري (الندوة العالمية ،1420 هـ).

ثالثاً: أسباب نشأة الواقعية:

نَشأت الواقعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ للرد على الرومانسية التي تعمقت في الخيال والوهم والأحلام، أي الابتعاد عن الواقع والقضايا الإنسانية، والاهتمام بالتقدم العلمي في المجالات المختلفة كالعلوم، وعلم الطبيعة، وعلم الوراثة ، والبيولوجيا ، وكذلك التطور في الدراسات التجريبية الإنسانية والاجتماعية، والمنحى الوضعي في الفلسفة ، وكذلك الاهتمام بالطبقات الاجتماعية المتعددة بما فيها الوسطى والفقيرة.

رابعاً: مراحل تطور الواقعية :

أ- عصـر النهضـة : الفن الواقعي بوصـفه اتجاهاً فنياً متميزاً وليس انعكاسـاً للواقع في الفن ، وساعد ذلك على : التحرر النفسي والمعرفي للإنسان من نزعة التنسك في القرون الوسطى.

- الأخذ بالأسـباب الحقيقية : حيث أخذ أدب عصـر النهضـة في إعادة خلق حياة الإنسـان بأشكال حقيقية، و ولادة مذهب واقعي منهجي يعتمد على تصوير الواقع .
- النزعة الإنسانية: حيث أصبح فحوى الفن الواقعي يعالج ويطور وسائل خاصة بتشخيص العالم الداخلي للإنسان.(فضل ، 1980) .

ب- عصر التنوير: دخل المذهب الواقعي مرحلة جديدة فأصبح يهتم بالآتي:

- سطوة الواقع الاجتماعي: أصبح على الفنان أن يدرس المجتمع والوسط الاجتماعي.
- الثورة الفرنسية: ومع دخول أجواء الثورة الفرنسية ازداد تمكن الأدب الواقعي من تفهم دور الموقف الاجتماعي بالنسبة لمصير الإنسان.
- التفاصـيل المعيشـية: العلاقات الواقعية بين الناس ومصـالحهم الواقعية أي المصـالح ذات الطابع (المعيشـي والشـخصـي) هي التي يتغذى عليها الأدب الواقعي في القرن الثامن عشر.
- تطور الرواية وضـرورتها: بوصـف هذا الفن أكثر طواعية ومرونة واسـتيعاباً بالمقارنة مع الدراما.
- التعبير الموضـوعي: أصـبح التعبير عن المواقف والمواضـيع لأي كاتب بشـكل حيادي وموضوعي.

ج- القرن التاسـع عشـر: حقق الاتجاه الواقعي قمة نضـجه في الأدب، حيث تجسـد أعمال (بلزاك) الأدبية أبرز ملامح الاتجاه الواقعي للأدب الأوروبي في القرن التاسع عشر حيث اتسم بالآتي:

- قوانين موضـوعية للتطور التاريخي: اهتمت الواقعية بحل المشـاكل المتعلقة بمصـائر البشرية بشكل موضوعي (فضل، 1980).

- تأمل التناقضات: اهتموا بالتناقضات التي تكمن في جوهر الأشياء، والتي تتحكم بتطور الحياة.
- السببية الاجتماعية: تأمل أصحابُ المدرسة الواقعية بالبحث في الصلات السببية التي تربط الإنسان بمجتمعه، وتبعية الإنسان للوسط الاجتماعي.
- استبعاد الفهم الميتافيزيقي غير المبرر: واقعية القرن التاسع عشر استطاعت التحرر من الفهم الميتافيزيقي للإنسان بوصفه ايجابيًا أو سلبيًا فقط، الذي كان شائعًا في القرن الثامن عشر (فضل، 1980).

خصائص المدرسة الواقعية:

يمكن تلخيص خصائص المدرسة الواقعية حسب رؤية كل اتجاه من اتجاهاتها في الآتي:

- أولاً: خصائص الواقعية الناقدة:

تعتبر هذه النوعية من الواقعية هي الأم للمذهب الواقعي، وانتشرت في أوروبا وبالأخص في فرنسا مع قليل من الاختلافات الفردية، التي تتمثل خصائصها في الآتي (قدار، د.ت):

- الانطلاق من الواقع الطبيعي والاجتماعي للإنسان، بتصوير الصراع القائم مع هذا الواقع.
- الاهتمام بالتفصيلات كوصف الشكل والصوت والحركة والألوان.
- التركيز على الجوانب السلبية كالظلم والجريمة ومحاولة علاجها.
- عرض النص وتحليله بموضوعية.
- تحفيز العقل وتقوية الإرادة والشخصية عند القارئ؛ لدفعه إلى المشاركة في البحث والتحليل.

- ثانياً: خصائص الواقعية الاشتراكية: صِيغَتِ الواقعية الاشتراكية في المعجم الجمالي الروسي عام 1965 م. بأنها منهج يقوم جوهره على الانعكاس الصادق و المحدد تاريخياً للواقع وتطوره الثوري، أما أبرز خصائصه فهي (فضل، د.ت):

- ظهور النص بطريقة تبين فيها الاندماج العاطفي.
- وصف الإنسان بواقعه القائم على الصواب والخطأ والتطور والصراع.
- موضوع النص يكون غير موجود في وعي الناس بعد.
- اكتشاف آفاق جديدة بهدف تنويعها أساليب الفن الاشتراكي.
- إثراء تجارب الواقع التي تعود لفنانين تشابه بلادهم.

- خصـــائص الواقعية الطبيعية: يعتبر امتداد للواقعية النقدية، إلا أن لها بعض الاســتقلالية وخصائصها كالآتي (عباس، د.ت):

- وصف طباع الإنسان وحقيقة الأشياء، وتحويل ذلك إلى فن يطابق واقع الإنسان.
- السعي إلى توافق النص الأدبي والتطور العلمي.
- إدخال طرق العلم المرتبطة بالطبيعة في الأدب.

ولعل من أهم ما يخص المدرســـة الواقعية هو التعرف على أهم روادها و أعلامها، فيمكن إجمال بعض الشخصيات المهمة التي تعبر عن الجمال والفن من خلال الواقع كالآتي:

روّاد المدرسة الواقعية :

الفنان الفرنســـي جوســـتاف كوربيه Gustavecourbet 1819–1877) فبعد انغماســـه بالفن الباروكي، ثم انتقاله إلى الرومانسية وجد نفسه أقرب إلى الواقعية باعتبارها الشيء الحقيقي في الوجود، وأن عليه مسؤولية المساهمة في الرقي بشعبه، ومساعدتهم بتسليط الضوء في لوحاته على مشاكل المجتمع، والذي قال مقولته الشهيرة (إنني لاأستطيع أن أرسم ملاكاً؛ لأني لم يسبق لي أن شاهدته (مطر ،2013)، وأهم لوحاته مغربلات القمح (أنظر الصور رقم 1).

وأيضـــا الفنان (هنري دوميه Honore daumier) 1808–1879 : يعتبر من أهم الفنانين الواقعيين ، وكذلك (جون فرانسوا ملين –Jean francois millet). (1814–1875) .

إلى جانب فنانين في الرواية (الواقعية) مثل، بلزاك(Balzac1799–1850 ، وفلوبير Flaubert 1821–1880 من فرنسا، وتشارلز ديكنز– Charles dickens 1812–1870 في إنجلترا .

وبعد ذلك ظهر فن السينما في ايطاليا وتقدّم تقدّماً كبيراً ، ومن أبرز الفنانين في هذا المجال (روسلليني– Rossellini) 1906–1977 في فيلم روما (مدينة مفتوحة) سنة 1945 ، وفلليني– Fellini1920–1993 في (سايثر يكون) وعبرت هذه الأفلام السينمائية على مقارعة الشعب للفاشية (مطر ،2013).

الخاتمة

وفي ختام هذا الموضوع يمكن القول: إنَ الواقعية من أهم وأبرز الفنون الحديثة، التي اعتنت بشكل واضح وصارم بوضع الإنسان ومشاكله، إلى جانب محاولة تعزيز هذه الحياة بشكل فني حقيقي معبر ومختلف عن الأنواع الأخرى من الفنون الجميلة التي تقوم أساساً على الخيال والرومانسية متناسية واقع الفرد وحياته.

قائمة المصادر والمراجع:–

1. إبراهيم، زكريا (د.ت)، مشكلة الفن ، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
2. إسماعيل، عز الدين (1955م) ، الأسس الجمالية في النقد العربي، ط1 ، دار الفكر العربي ، مصر.
3. ابن سينا (1966م)، الشفاء: 9–الشعر، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة.
4. ابن عباس، حسان (د.ت)، الواقعية في الأدب، متاح على الرابط: WWW.EHCG.NET
5. ابن منظور (1975م)، لسان العرب: مج3 ، ط6، ، دار بيروت، لبنان.
6. أبوريان، محمد (د.ت)، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، ط2 ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

7. البستاني، فؤاد (د.ت)، منجد الطلاب ، ط 122 ، دار الشرق، بيروت.
8. بيرق ، قحطان (د.ت)، نشأة الواقعية، متاح على الرابط: WWW.ALUKAH.NET
9. التوحيدي، أبوحيان(1929م)، المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، ط 1 ،المطبعة الرحمانية ، مصر.
10. الجوهري (1918 م)، الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية: ج 2 ، حققه وطبعه شهاب الدين أبو عمرو، ط1 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع، مكتب البحوث والدراسات، بيروت.
11. خليل، أحمد خليل (1975 م)، معجم المصطلحات الفلسفية،(دار الفر اللبناني، بيروت.
12. رشيد، عدنان (1985م)، دراسات في علم الجمال، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
13. الزاوي ، الطاهر أحمد (1994)، مختار القاموس ، ط1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
14. ستيس، ولتر (1980م)، فلسفة هيجل ، ترجمة إمام عبد الفتاح ، تقديم زكي نجيب محمود، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
15. صليبا، جميل (1971م) المعجم الفلسفي ، ط 5، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
16. عباس، راوية عبد المنعم (2005 م)، الحس الجمالي وتاريخ الفن، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
17. عثمان، نزار محمد (د.ت)، المدارس الأدبية والنظرية الإسلامية، متاح على الرابط: WWW.SAAID.NET
18. فضل، صلاح (1980م)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، ط2 ، دار المعارف، القاهرة.
19. مطر، أميرة حلمي (2013م)، مدخل إلى علم الجمال فلسفة الفن، دار التنوين للطباعة والنشر، القاهرة.
20. المهندس، مجدي وهبة كامل (1979م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان، بيروت.

21. الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1420هـ)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط 4 ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية.

ملحق الصور

الصورة رقم (1) لوحة مغربلات القمح لجوستاف كوربيه

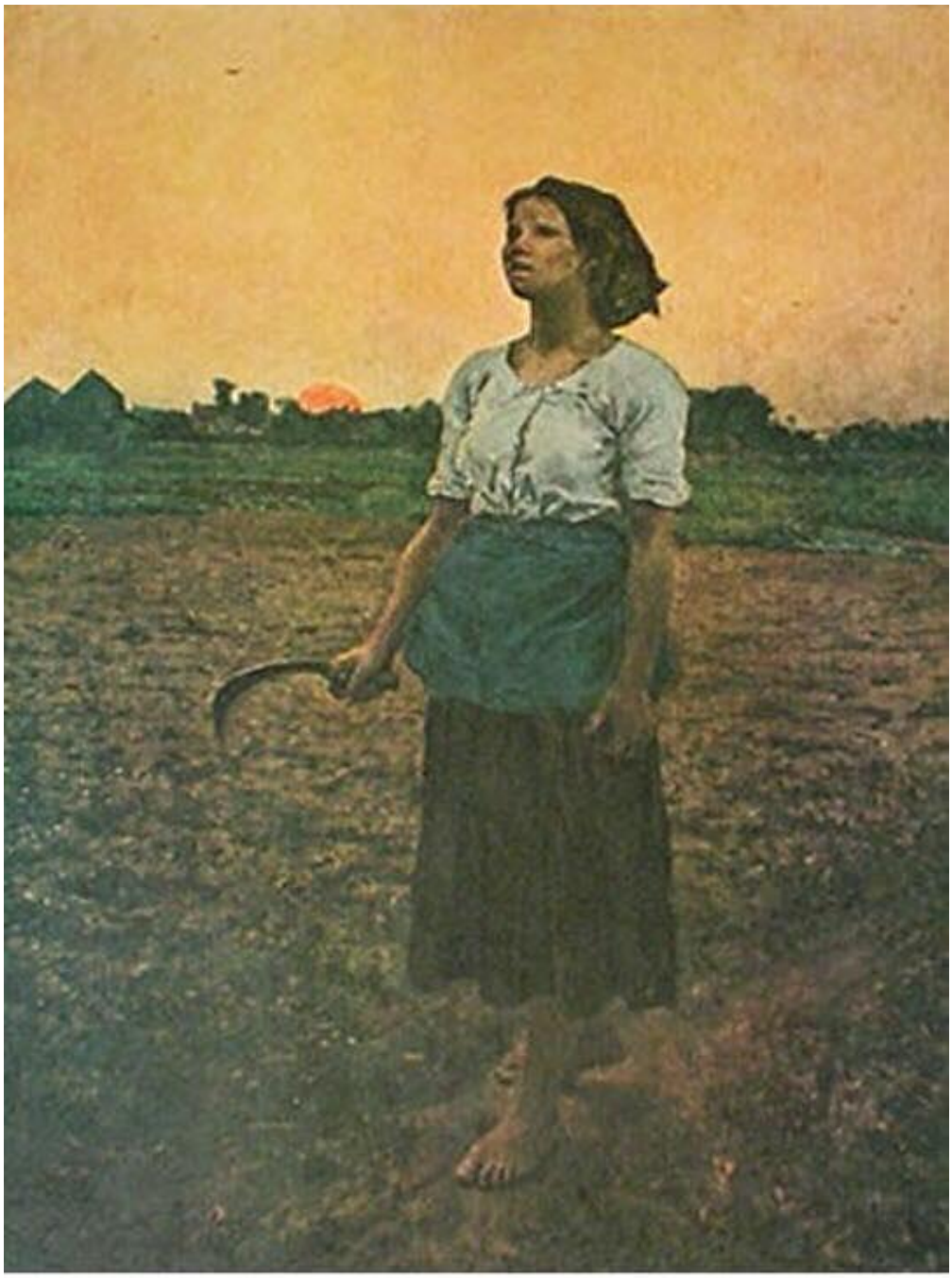

الصورة رقم (2) لوحة أغنية طائر القبرة لجولزبريتون 1884

الصورة رقم (3) لوحة كاسري الحجارة لجوستاف كوربيه

الصورة رقم (4) لوحة جامعات الحبوب لجون فرانسوا زميليه

الصورة رقم (5) لوحة دفنٌ في أورنانس لجوستاف كوربيه

الصورة رقم (6) لوحة شارع ترانسنونين الخامس عشر لأونوريدوميير